



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

د. مظهر محمد صالح*: الاغتراب على أطراف الإنتاج الرأسمالي المركزي

١- تمهيد

أ- الاغتراب

ينصرف اغتراب البشر في جوانب مهمة عن طبيعتهم الإنسانية نتيجة العيش في مجتمع يتسم بشدة التمايز الطبقي. كما يُعد الاغتراب عن الذات نتيجة لكون الإنسان جزءاً ميكانيكياً في طبقة اجتماعية تتسبب ظروفها في إبعاد الشخص عن إنسانيته. إذ حدد المفكر الألماني كارل ماركس واصفاً اغتراب العمل Alienation في كتاباته التي امتدت بين الأعوام 1818-1883 بأن العمال أنفسهم لا يمتلكون المنتجات التي يعملون على إنتاجها. فالأساس النظري للاغتراب Alienation هو أن العامل يفقد دائماً القدرة على تحديد مسارات الحياة والمصير عندما يحرم من الحق في التفكير أو تصور نفسه كمدبر لأفعاله وتحديد العلاقات مع الآخرين وامتلاك تلك الأشياء المنتجة ذات القيمة من السلع والخدمات التي ينتجها عمله.

وعلى الرغم من أن العامل هو إنسان مستقل بذاته، إلا أنه (بصفته كياناً اقتصادياً) يتم توجيهه إلى أهداف بعينها وتحويله إلى النشاطات التي تملئها الطبقة الرأسمالية المالكة لوسائل الإنتاج ذلك من أجل انتزاع الحد الأقصى من قيمة العمل المتمثل بمقدار فائض القيمة في سباق التنافس بين القوى الرأسمالية نفسها.

ب- تطور نظرية الاغتراب بين العمل ورأس المال

أولاً، عُد الاغتراب Alienation في أساسياته مفهوماً نظرياً طوره المفكر كارل ماركس في كتاباته الأولى المسماة: المخطوطات الفلسفية والاقتصادية الصادرة في العام 1844- (EPM-Economic and Philosophic Manuscripts).

حيث تطرق كارل ماركس في تلك المخطوطات إلى أربعة أوجه من الاغتراب التي يواجهها العمل في المجتمع الرأسمالي: أولها، هو الاغتراب عن المنتج product نفسه؛ والآخر، هو الاغتراب في نشاط العمل؛ والثالث، هو اغتراب العمل عن واحدة من خواصه الإنسانية؛ والرابع، هو الاغتراب عن الآخرين والمجتمع. والعامل الأخير يتجسد بفكرة أن جميع الأعمال التي يؤديها العمل تنطوي على نشاط من نوع ما وينتج



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

شيئاً من نوع ما يؤديه إنسان في نوع من السباق الإنساني. لذا يمكن اعتبار الاغتراب بشكل عام على المستوى الأكثر تجريداً، بمثابة الاستسلام للسيطرة من خلال الانفصال عن سمة أساسية للذات وبشكل أكثر تحديداً، فصل الفاعل عن ظروف الكيان الذي يعمل فيه.

ثانياً، ما زال ينظر إلى الاغتراب Alienation عل انه من أكثر المصطلحات تأثيراً في النظرية الاقتصادية الماركسية، وينظر إليه في الوقت نفسه بأنه احد أكثر المفاهيم غموضاً وجدلاً في العصر الصناعي الراهن عصر العولمة globalisation. فبخلاف الأفكار السابقة التي ظلت تركز على الفلسفة المبكرة لكارل ماركس، فإن التوجهات الفكرية الراهنة أخذت توضح تفسيرات مستحدثة للاغتراب والتي وجدت تفسيرات مستجدة حتى في كتابات كارل ماركس المتأخرة نفسه.

فبدلاً من تصور الاغتراب بأنه تجربة ذاتية subjective أو انه سمة متأصلة في التنظيم الاجتماعي، فإن القناعات الجديدة ترى في الاغتراب، وبالمعنى الماركسي نفسه، بكونه عملية موضوعية أو عملية شيء objective كما يقال تظهر جراء تخصيص حصيلة الإنتاج وتحويلها إلى رأس مال، أي ترتبط بالتراكم الرأسمالي نفسه. إن مثل هذه التفسيرات يمكنها أن تجد حلاً للمشكلات النظرية الرئيسية التي اندمجت تقليدياً بنظرية الاغتراب Alienation theory. وبشكل خاص ما تبيينها النظرية الماركسية من مفارقة paradox بشأن القوى الاجتماعية والعزلة التي تميزت بها المجتمعات الرأسمالية المركزية المعاصرة والتي أدت إلى تكثيف مشاعر العجز والوحدة على الرغم من الزيادات الموضوعية في القوة الاجتماعية البشرية والاعتماد المتبادل فيما بينها. ولا يقصد كارل ماركس هنا كما يقول أستاذ العلوم السياسية في جامعة York الكندية Asher Horowitz في بحثه المنشور في العام 2010 والموسوم: Marx's Theory of Alienation بان الاغتراب مجرد تأشير موقف أو شعور شخص بحالة اللاسيطرة (على الرغم من أن اغتراب العمل قد يكون محسوساً ويمكن الهروب منه ومقاومته) إلا أن ماركس لا يهتم به بكونه شرطاً ذاتياً subjective. فالاغتراب هو الهيكل الموضوعي objective للتجربة والنشاط في المجتمع الرأسمالي. فلا يمكن للمجتمع الرأسمالي أن يعيش من دونه ما لم يقمع الناس في مثل ذلك الهيكل الموضوعي أو الإنتاجي القائم أو أن يقوم بشكل أفضل.

ثالثاً، الرأسمالية والاغتراب في القرن الحادي والعشرين. على الرغم مما تقدم، فإن العلاقة بين الرأسمالية والاغتراب في تفسير نظرية الاغتراب الماركسية في القرن الحادي والعشرين أو العصر الرقمي الراهن، قد أخذت منحىً نقدياً آخر كما جاء في



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

الدراسة المتميزة التي نشرتها المجلة الأوروبية للنظرية الاجتماعية بعددها الصادر في العام 2021 تحت عنوان:

Capitalism and Alienation: Towards a Marxists Theory of Alienation for 21st Century.

إذ تناولت الدراسة كتابات كارل ماركس فيما سمي بالـ Grundrisse ولا سيما بين الأعوام 1857-1858 لتشكل الأساس لإعادة نقاش فكرة الاغتراب مجدداً في عصر الليبرالية الجديدة والعولمة. ولا سيما عندما تطرق كارل ماركس إلى تقسيم العلاقة بين العمل والمجتمع إلى أربع خطوات في تعريف الاغتراب وتلخصت بمجموعتين. المجموعة الأولى، انصرفت نحو (الطبيعة البشرية) أي العمل والمجتمع لكي يعرف الاغتراب بكونه عملية ناجمة عن الإنتاج وكيف يتم تخصيص العمل أو توظيفه أو تكريسه ومن ثم تحويله إلى رأس مال متجسد. أما المجموعة الثانية من الخطوات بشأن تعريف الاغتراب، فينصرف إلى تطور الفكر الماركسي وتصديه لموضوع أثر الرأسمالية على التطور الاجتماعي نفسه. ذلك قبل الولوج في فكرة أن التطور الرأسمالي وإمكانياته المتطورة يتم مقاومتها من خلال جدلية الاغتراب والتشتت الاجتماعي، حيث يتم اختبار التوسع الموضوعي في القوة الاجتماعية والاعتماد المتبادل على أنه زيادة مقابلة في حالة من الضعف والعزلة.

وهنا جادل الكاتب الفرنسي ألتوسير Althusser (1918-1990) من المدرسة الماركسية الجديدة في أطروحته في العام 1965 الواردة في كتابه For Marx بأن نصوص كارل ماركس الأولى بما في ذلك تلك المنشورة في المخطوطات الاقتصادية والفلسفية EPM قد تم فصلها عن أعماله اللاحقة من خلال فسحة معرفية رفض فيها كارل ماركس وجهات نظره السابقة عند تحديد مفهوم الاغتراب Alienation على وجه الخصوص وعبر فلسفته في (المادية التاريخية) في تنظيم المجتمع الاقتصادي وتطوره، ويقول Althusser بان مفهوم الاغتراب يفترض مقدماً وجود جوهر انساني موحد unified human essence في حين ان الماركسية العلمية تقوم على قطيعة جذرية مع كل نظرية اسست التاريخ والسياسة على جوهر الإنسان. فالطبيعة البشرية او (الجوهر الانساني الموحد) هي مجموع هوية نوعنا كبشر، والخصائص العقلية والجسدية والروحية التي تجعل الانسان فريداً وبشراً....



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

ج- العولمة الرأسمالية والاعتراب

تري النظريات الاجتماعية الحديثة بأن الاعتراب سيزداد إذا ما تزامن التطور الإنتاجي التكنولوجي مع عمليات تسليع العمل نفسه والتسويق ولا سيما إذا ما تم تفكيك مؤسسات الديمقراطية وتقرير المصير الجماعي واستبدالها بآليات السوق ذلك من خلال التفاوت بين العمال وأصحاب رأس المال. وهذا لا يمنع من أن تكون الفئات الأكثر تعرضاً لقوى السوق والأكثر حرماناً (من القوى الاجتماعية المؤثرة في ظروفهم الاجتماعية) معرضة بشكل خاص لخطر التجارب الذاتية وللحالات القدرية والشعور بالوحدة واليأس ومثاله نشاط الشركات المتعددة الجنسيات في المناطق الإنتاجية المحيطية في العالم والملاذات الإنتاجية العابرة للهوية أو أطراف النظام الرأسمالي المركزي عندما يحاصر الجوهر الإنساني الموحد بفقدان هوية الانتماء لقوة العمل المتعدية الجنسية ليضحى الاعتراب المعولم globalized alienation عند أقصاه.

٢- تقسيم العمل والاعتراب: إطلالة في التاريخ الاقتصادي

في يوم من أيام الخريف، تطلع ذلك الشاب الإسباني على مشهد هائل انعقد أمامه قبل أن يغادر مرفأ مدينة البندقية الهادئ والجو الرطيب يتسلل بين حنايا النفس بالأسى العذب، ما جعل أبخرة الصراع الناشبة في أعماقه تتكثف وهو يقول في سره إن الحياة لم تخلق إلا لتكون مسرحاً للعجائب، وإن أحزان الدنيا توجد لا لتثبط الهمم ولكن لتسخرها! ففي العام 1436 ميلادية كان الشاب الإسباني لوركا في مدينة البندقية الإيطالية يرى بنفسه كيف كانت تُسلح دولة-المدينة (البندقية) سفنها الحربية آنذاك. ولم يخف المنظر المثير للتسلح والتجهيز نفسه في مرفأ البندقية، لذلك فإن لوركا شاهد كفاءة العمل بنفسه وهو في طريق عودته إلى إسبانيا، يوم كانت البندقية تجهز سفنها الواحدة بعد الأخرى وبسرعة ودقة عاليتين لتكتمل عملية التجهيز بأقل من ساعة. تأمل لوركا الكيفية التي كانت تجهز بها السفن الحربية الإسبانية بالذخائر الحربية والمؤونة اللازمة ليقارن ذلك بما كان يجري في البندقية وهو يضع في ذهنه حقيقة أن الكفاءة في العمل قيمة لا يمكن تجاهلها، فقد لاحظ أن تجهيز السفن الحربية الإسبانية بالذخائر والمؤن يتم مرة واحدة وبحشد بشري من العاملين، في حين كان يجري العكس في البندقية، حيث تُسحب السفينة إلى واحدة من القنوات وأثناء مرورها أمام المرفأ المعنى يتولى منتجي السلاح والذخيرة كل حسب اختصاصه بالتجهيز وأولويته، أي بدءاً بالأول وانتهاءً بالآخر وعلى طول القناة المذكورة. لقد سجل لوركا في مفكرته اليومية، كسائح إسباني والشاهد الأول على العلو الذي بلغه تقسيم العمل ومثلته أوائل خطوط الإنتاج في العالم والتي ابتدأتها البندقية في القرن الخامس عشر الميلادي. إذ



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

ساعد تقسيم العمل في تقدم الثورة الصناعية الأولى في القرن الثامن عشر والذي مكن بلدان العالم من التحسين المفاجئ في الإنتاجية والثروة معاً. لقد عدّ تقسيم العمل بمثابة طريقة إنتاج مثلى تقف اليوم وراء كل هدف تصنيعي نتطلع للعناية به ومن ثم تحقيقه.

في كتابه (ثروة الأمم) 1776 ميلادية قدّم آدم سميث، مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي، مثاله الشهير في قياس الإنتاج والإنتاجية الناجمة عن التخصص وتقسيم العمل في مصنع الدبابيس في إنكلترا قائلاً: (عندما يجري تصنيع الدبابيس عن طريق العمل اليدوي فإن ما يستطيع أن ينتجه العامل الواحد بنفسه في يوم العمل لا يتعدى دبوساً واحداً. ولكن في مصنع الدبابيس عندما يتم تقسيم العمل بين عددٍ من العمال المتخصصين، حيث يقوم الأول بسحب المعدن ويقوم الثاني بتوثيره باستقامة، في حين يتولى الثالث قطعه ويتولى الرابع تدريبه ويقوم الخامس بصقل رأس الدبوس الذي يتطلب عمليتين أو ثلاثة وصولاً إلى العملية الأخيرة التي يتولاها العامل العاشر. وإن إجمالي العمليات، التي يقوم بها العمال العشرة، تكوّن بمجموعها ثماني عشرة عملية. وإن مجموع ما ينتجه العمال العشرة في يوم العمل الواحد سيبلغ 48 ألف دبوس، مما يعني أن إنتاجية العمال العشرة قد بلغت 40 ألف بالمائة! وبهذا يعظم التخصص وتقسيم العمل الإنتاج والإنتاجية والنمو الاقتصادي وثروة الأمم في آن واحد.

وعلى الرغم مما تقدم وجد آدم سميث أن ثمة مخاطر يتركها التخصص وتقسيم العمل في صورته الشديدة في قدرة العمال على إيجاد فرصة عمل عند البطالة بسبب مهارتهم المقتصرة على لون واحد من العمل ولا سيما عمال المناجم أو عمال صناعة السيارات في الوقت الراهن أو غيرهم. كما أن قيام العامل المشتغل بتكرار العملية الإنتاجية الضيقة نفسها يومياً قد يقود إلى التشويش الذهني له وتتسبب في (اغتراب العاملين Alienation عن بعضهم البعض) وهو الاصطلاح الذي أطلقه آدم سميث وأسماه بالاغتراب alienation وأيده كارل ماركس عند صياغة بيانه الشيوعي المسمى (المانيفستو) ودوره في تاريخ الحركة العمالية في القرن التاسع عشر. كما جسّد شارلي شابلن في فيلمه الشهير (الأزمة الحديثة) 1936 ميلادية فلسفة الاغتراب في عالم الصناعة ودواليبها الصماء التي لا ترحم وهو يحكي قصة الإنسان الذي تتحكم به الآلة أو محاولة الآلة بأن تجعل الإنسان كائناً يشبهها ويتحرك مثلها لتتسحق براءة الإنسانية بها ومن أجلها. وهو الأمر الذي كان يحدث أثناء فترة الكساد العظيم في أميركا في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي. وبغض النظر عن هذا وذاك، فقد ظل التخصص وتقسيم العمل مصدر إلهام ونمو وتطور في حياة الأمم الصناعية المركزية الحديثة، ولا يزال يمثل الجزء الأكثر قوة والأشد أهمية في تشكيل المنطق الاقتصادي في تكوين ثروة الأمم.



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

٣- الاغتراب الصناعي والتقسيم الدولي الجديد للعمل

لم نصدق بادئ الأمر مسامعنا بأن التقسيم الدولي الجديد للعمل هو نتاج العولمة وقواها الاقتصادية العابرة لسيادة الأمم ولا سيما بعد أن ذهب المُنظرون الاقتصاديون شرحاً وتفسيراً للتحوّل المكاني للصناعة والانتقال بها من معاقلها القديمة التي استوطنت العالم الأول وبلدانها الأم المتروبوليت إلى البلدان النامية في محاولة جديدة لتوصيف ظاهرة تقسيم العمل كقوة مُعولمة. فعندما ساد التقسيم الدولي للعمل بشكله القديم كانت القوى العاملة الأجيّرة قد نهضت وتركزت في المجتمعات الصناعية حصرياً في حين وجدت تلك القوى الأجيّرة متكأ لها في العالم الثالث عبر الصناعات الاستخراجية أو المعدنية وفي النشاطات الزراعية الكبيرة القائمة على المتاجرة والتصدير، إلا أن تلك القوى الأجيّرة في البلدان النامية (التي هي من أشباه القوة العاملة البروليتارية) كانت تمثل حقبة تاريخية تجمع بين الحياة الفلاحية وأنماطها القروية وبين النمط التجاري الحضري للمدينة.

يقول الكاتب ديفيد كوتس David Coates في مؤلفه الموسوم (أنماط الرأسمالية: النمو والركود في الحقبة التاريخية الحديثة) الصادر عن دار نشر (بولتي) في العام 2000 موضحاً بأن وظيفة رأس المال هي البحث عن العمل الرخيص وهو الأمر الذي قاد إلى مضاعفة عديد العاملين في الحقل الصناعي إلى نحو 3 ملايين عامل في السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن العشرين. على سبيل المثال، ولاسيما في البلدان النامية، ترى أن العجلة الرئيسة التي قادت إلى انتشار النمط الرأسمالي للإنتاج في العالم الثالث هي ظهور ما يسمى بالتعاون الانتقالي الدولي، إذ تنامي هذا النمط من التعاون في إشاعة الإنتاج الصناعي خلال الربع الأخير من القرن العشرين من 7 آلاف وحدة صناعية في العام 1973 ليصبح بنحو 26 ألف وحدة صناعية في العام 1993، ويلاحظ أنه بين العام 1953 وحتى مطلع الألفية الثالثة انخفضت مساهمة العالم الأول في الإنتاج الصناعي العالمي من 95 بالمائة إلى 77 بالمائة في حين تضاعفت حصة البلدان النامية في الناتج الصناعي العالمي من 5 بالمائة إلى 23 بالمائة خلال الفترة نفسها أعلاه.

لقد تعاضم تدفق الاستثمارات الخارجية نحو بلدان العالم الثالث وتصاعدت حدتها في تسعينيات القرن الماضي، على الرغم من أن الكثير من تلك الاستثمارات قد ذهبت إلى البلدان الصناعية الأم نفسها، كما أن أفضل نماذج عملية الانتقال التعاوني تمثل بنمو ظاهرة الوحدات المصنعية في مناطق اقتصادية حرة والتي أطلق عليها (ماكيلادورز) في منطقة الحدود المكسيكية-الأميركية، إذ تشكلت نواتها في العام 1965 حيث سُمح



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

بإقامة منطقة اقتصادية حرة امتدت على طول المنطقة الحدودية للمكسيك مع الولايات المتحدة الأمريكية ومنطقة عازلة عمقها 10 أميال، وأُتيحت لتلك المصانع استيراد المواد الأولية وقطع الغيار على أساس الإعفاء التام من التعرفة الجمركية شريطة أن يعاد تصدير المنتجات الناجمة عن تصنيعها كافة. ويلحظ أن ظاهرة ماكيلادورز قد اتسعت وتضاعف نشاطها لاسيما بعد العام 1993 عندما دخلت المكسيك مع الولايات المتحدة الأمريكية باتفاقية التجارة الحرة لمنطقة أميركا الشمالية (نافتا) حيث أزيلت القيود التجارية المتبقية كافة. ولم يمنع ذلك الاتفاق المستثمرين الأوروبيين واليابانيين فضلاً عن الأميركيين من تحريك رؤوس أموالهم نحو قوة العمل الرخيصة ومعاقلة في ماكيلادورز. فقد جرى نصب الآلاف من المعامل الممثلة للصناعات التجميعية على طول الحدود المكسيكية-الأميركية، سواء في صناعة السيارات أم في صناعة السلع الكهربائية وغيرها من السلع المنزلية المعمرة والنسجية. من اللافت أنه يعبر الحدود المذكورة يومياً رجال الأعمال المترفون ومديرو الشركات وكبار المستثمرين بحافلاتهم الفارهة، في حين تحتشد الآلاف من قوة العمل المكسيكية بطوابير انتظار (بعد تجميعهم من مناطق عشوائياتهم أو ما يسمى بمدن الصفيح المجاورة) ليوضعوا في حافلات النقل المتجهة نحو أماكن أعمالهم والممتدة على طول الحدود وعرضها مع الولايات المتحدة الأمريكية. وتؤكد الأبحاث والدراسات الاقتصادية الدولية أن ظاهرة العمل الرخيص هي ليست بسبب عرض العمل غير المحدود في المنطقة الاقتصادية الحرة (ماكيلادورز) ولكن ذلك يأتي من تشكيلات القوى العاملة غير المنظمة والبعيدة عن النظم الرقابية، بعبارة أخرى أنها قوة عمالية منتجة لا تخضع لأية معايير رقابية دولية تضمن حقوقها.

٤- الاستنتاجات

في العصر الرقمي الراهن وعولمة العمل، فإن ما يسمى: بالجوهر الإنساني الموحد unified human essence للعمل العابر للجنسية يخضع لظاهرة اغتراب خطيرة تجسدها عوامل ثلاث شديداً الأهمية:

الأولى: سيطرة الفكر الليبرالي الجديد على النظام الاقتصادي العالمي وانعدام فكرة المثقف العضوي organic intellectual على القوى العاملة في النشاطات الرأسمالية العابرة الجنسية التي تشتغل في ملاذات المناطق الصناعية الحرة أو العابرة للسيادة والتي تسمى Special Economic Zones أو المناطق الاقتصادية الخاصة SEZs، حيث يرى أن الطبقة العاملة المعولمة مجرد قوى مغيبة أيديولوجياً وهي أقرب إلى تعريف ما يسمى بالفلسفة الماركسية الأوروبية (بالمثقف التقليدي traditional



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

(intellectual) أي بكونها طبقة منفصلة عن اجتماعياتها كما عبر عنها فيلسوف إيطالي المفكر أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci (1891-1937) في كتابه المنشور بعنوان (رسائل السجن) وهي الكتابات الفلسفية التي كتبها غرامشي في سجنه تحديداً بين الأعوام 1929-1935.

إن سيادة الهيمنة الثقافية وعلى وفق منطق الليبرالية الجديدة على مناخات العمل المعولم New Liberalism Intellectual Hegemony والتي تتصرف تحديداً إلى العيش بالاغتراب دون توافر أي جوهر إنساني موحد يعبر عن مصالح القوى العاملة في ملاذاتها المغتربة العابرة للأوطان وحماية حقوقها القانونية والإنسانية وهو الاغتراب المعولم globalising alienation وهو أخطر مظاهر الاغتراب الذي يفتقر لشروطه الاجتماعية الإنسانية الموحدة في أطراف العالم الرأسمالي peripheries. إذ يقدر هناك حوالي 5400 منطقة صناعية خاصة في العالم SEZs، و عبر 147 اقتصاداً اليوم، ارتفاعاً من حوالي 4000 منطقة قبل خمس سنوات، وهناك أكثر من 500 منطقة اقتصادية خاصة جديدة في طور الإعداد. ويعمل فيها ملايين العمال العابرين للجنسية transnational labors.

فالهيمنة الثقافية cultural hegemony وعلى وفق الماركسية الجديدة تتصرف إلى هيمنة مجتمع متنوع ثقافي من قبل الطبقة الحاكمة أو المهيمنة التي تتلاعب بثقافة ذلك المجتمع- سواء في المعتقدات أو التفسيرات والتصورات والقيم والأعراف- بحيث تصبح النظرة العالمية للطبقة الحاكمة من أصحاب الشركات والمديرين الدوليين هي القاعدة الثقافية المقبولة. وهنا تصبح القوى الرأسمالية المالكة وإدارتها في الشركات المتعدية الجنسية transnational corporations في عصر العولمة الحالي هي المتحكم والمؤسس للهيمنة الثقافية في (ملاذات الاغتراب المعولمة global havens).

الثانية، عبودية أو صنمية السلعة. إن من أخطر ظواهر الاغتراب في العصر الليبرالي الجديد هو ما يسمى بعبودية السلعة أو تقديس السلعة المعولمة Globalised Fetishism (خلق القيمة) الصناعية للمنتج في الملاذات الصناعية الأمنة في المحيط الرأسمالي المعولم وبين (تحقيق القيمة) في مراكز الاستهلاك المركزية، يتحول اغتراب العمل من ظاهرة موضوعية objective ترتبط بالجوهر الإنساني الموحد unified human essence إلى ظاهرة شديدة الاغتراب وما يسمى بالاغتراب كظاهرة ذاتية subject بسبب انفصال مجتمع الإنتاج عن مجتمع الاستهلاك وتحقق انفصال إضافي في ظاهرة الاغتراب separated alienation



أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

في ظل عبودية السلعة المعولمة. ففي الفلسفة الماركسية، يوضح مصطلح (فيتشية السلع أو عبودية السلع) علاقات الإنتاج والتبادل على أنها علاقات اجتماعية بين الأشياء (المال والسلع) وليس كعلاقات بين الناس، كشكل من أشكال التجسيد. إنها فلسفة تقدم مسألة القيمة value في هوس أو عبودية السلع على أنها متأصلة في السلع، وليست ناشئة عن العلاقات الشخصية أو الإنسانية التي أنتجت السلعة نفسها. تاريخياً، قدم كارل ماركس موضوع عبودية السلعة أو commodity Fetishism في الفصل الأول من كتابه رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي (1867) Das Kapital also known as Capital: A Critique of Political Economy

ذلك لتوضيح أن التنظيم الاجتماعي للعمل يتم من خلال تبادل السوق، وشراء وبيع السلع والخدمات. وهكذا، فإن العلاقات الاجتماعية الرأسمالية بين الناس- من يصنع ماذا؟، ومن يعمل من أجل من؟، ووقت الإنتاج من أجل سلعة ما، وما إلى ذلك- هي علاقات اجتماعية بين الأشياء تبحث عن الجوهر الإنساني الموحد.

الثالثة، الاغتراب والحوكمة الاجتماعية. لقد ولدت العولمة حركات مؤازرة لمواجهة التحول في الاغتراب وارتداده من حالته (الموضوعية) ضمن الجوهر البشري الموحد إلى حالته (الذاتية) من مظاهر التفكك في قوة العمل والتحول نحو الوحدانية الانطواء والعزلة وما رتب من سلب في حقوق العمل دون قوى قانونية واجتماعية ناظمة.

وعلى الرغم من ذلك، ظهرت منذ العام 1988 حركة اجتماعية دولية قادها ناشطون صحفيون يوم تم نشر قائمة بأفضل 100 شركة في الولايات المتحدة في مجلة Fortune وعدها من أفضل الشركات في الممارسات الاجتماعية والمسؤولية accountability وكيف حققت الكفاءة المالية والكفاءة الاجتماعية تجاه العاملين في أن واحد وضمن ثلاثة اهتمامات أطلق عليها Environmental, Social and Governance ، وصارت تعرف بأحرفها الأول ESG

إن تطور العلاقة بين الأداء المالي والمسؤولية الاجتماعية والتوازن بينها أصبح أحد عوامل تقوية ما أشرنا إليه بالجوهر البشري الموحد الضامن للاغتراب وعدم تحوله من الظاهرة الموضوعية إلى الظاهرة الذاتية. إذ أخذت الشركات المتعددة الجنسية في محيط الرأسمالية والعاملة في الملاذات الصناعية الأمانة تخضع في كفاءة استثماراتها إلى معيار تطوير عوامل الحوكمة البيئية والاجتماعية والمؤسسية ESG. إذ ينصرف المعيار من الناحية الاجتماعية إلى حقوق الإنسان العامل وتشغيل الصغار والصحة والسلامة أثناء العمل فضلاً عن الفرص المتساوية. إضافة إلى التصدي لموضوع بيئة العمل والتنوع البيولوجي وأنظمة إدارة البيئة



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أبحاث نظرية في الفكر والتاريخ الاقتصادي

والتلوث مع تواجد وكالة تصنيف ذات العلاقة تسمى ESG Rating Agency منحت حتى الوقت الحاضر قرابة ٣٠ ألف شهادة تقييمًا للشركات حول العالم لضمان عدم تراجع الاغتراب عن الجواهر الانساني الموحد ■

(* باحث وكاتب اقتصادي اكاديمي والمستشار المالي والاقتصادي لرئيس الوزراء العراقي

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الاشارة إلى المصدر. 28 آذار 2022

<http://iraqieconomists.net/ar/>